

النعام في الحضارة المصرية

عن مجلة الطبيعة الفرنسية

النعام أعظم الطيور واضخمها يبلغ علوها نحو مترين ووزنها أربعين كيلوغراماً أحياناً . سمها دقيق ونظرها حاد وحاسة الذوق والشم فيها غليظة بحيث لا تتخير غذاءها وقلاً يتميز بين جيده ورديته . فهي وإن تكن من الحيوانات آكلة العشب تخضع أغذية نباتية وتحتك بكل ما يقع نظرها عليه من حديد وقرمذ وخشب وتصدمه حتى يكاد يتأثر . ساقاها مستويتان مستطيلتان متباعدتان حتى أنها تقطع نحو ٢٨٠ كيلومتراً في أقل من عشر ساعات فتبذل بذلك الصافات الجياد في حلبة الطراد . وريش جسم ذكر النعام اسود فاحم وريش الاجنحة والذنب أبيض وعنقها أجرد لا ريش له وهو أحمر كاقبها وعينها زرقاء ومقارها أصفر ورجلاها سنجائيتان وهي كالجلل تنزل المناطق الحارة المنزلة عن الناس

عرف القدماء النعام وورد ذكرها في التوراة أكثر من مرة وسموها اليهود « ابنة الصباح » وكثيراً ما تزعق في المطارح النائية الواسعة في ظلمات الليل وتنخر نخبراً ممزوجاً بهويل محزن يرمض القلوب ويجلب الكروب . وهي من البلاهة بحيث لا يضاهاها حيوان حرمها الخالق تعالى من الحكمة ولم يجعل لها حفاً من الذكاء كما ورد في التوراة . ويذكر بلين ان الصيادين يضطرونها الى ان تقع رأسها وتحنه ظناً منها بأن لا يراها أحد ومتى طاردها المطاردون تستخدم رجلها بمثابة مقلاع وتزني بهما أحجاراً بفظ الكف هذا الطائر مشهور منذ القرون العريقة في القدم ويبيض في الرمل ولا تخضع انثاه بيضها الا من الليل لان حرّ النهار ينتفها . وانك لتراها أرسالاً وعصائب على مقربة من الواحات في رمال افريقية وبلاد العرب وترى في الصحراء من جبال الاطلس الى ضفاف النيل وفي رمال صحراء ليبيا ومصر الوسطى وفي القفر الواقع في الجنوب

الغربي من الاسكندرية

رأينا النعام مرسومة في مصانع الفراعنة والحباشان آخذين بزمامها وقد لُزَّت في قَرْنٍ مع الاسود والفيهود وغيرها من حيوانات تلك الارزاء . ويروي عنها في اساطير الاولين روايات من مثل اختيارها دون سائر الحيوانات لا تقاذله الخمر لما ذهب هذا الى الهند على رأس جيشه الجرار مجنازاً صحاري ليلية حتى اذا اشتد به الظم استغاث بالمشتري فدلّه على نعامه فتبعها حتى قاده الى مكان خفرت فيه الارض بمنقارها فنبضت منها عين

ولطالما كان الصيادون يطاردون النعام مطاردة شديدة وكثيراً ما كانوا يلبسون جلودها ويقلدونها في حركاتها فيقتربون منها ويأغنونها . يستعملون لحمها غذاء لهم ويستخدمون جلدها تروساً أو ثياباً أو مضاجع وفرشاً . واذا تمكنت النعام من صيادها فقتلته فيمما قتالاً وعضته عضه يقاسي منها انواع الالم فلا تكون عاقبتها عليه سوى الموت . اما قوم (بيض) النعام فكان الصيادون يأكلون ما في داخلها فاذا اتوا عليه يستعملون القشرة اقداحاً واكواباً واذا رأوها ضخمة يقسمونها شطرين يكونان قُبَّتين لرجلين يستران بهما رأسيهما

وما زال بعض السكان في افريقية الى يومنا هذا يقتاتون من لحم النعام وشحمها ونومها ويبيعون ريشها أو يستخدمونه زينة لروؤسهم . ويستخدم النعام لحمل الاثقال . وشاعت عادة ركوب النعام في القديم كل الشعوب . ويؤخذ مما قاله بوزانيس القائد الاسبارطي المشهور (٤٧٧ ق . م) انه رؤي على جبل هيلكون من بلاد اليونان تمثال لارسينوي الأميرة المصرية التي تزوجت بطليموس محملاً على نعام من النحاس . ويقول ابنه الكاتب اليوناني الذي جاء في القرن الثالث للمسيح انه كان في الاختال بظفر فيلادلف الذي قام في الاسكندرية ثمانية قطارات من النعام في كل قطار نعمتان وقد رُسِمَت صورة جماعة يتعاطون الشراب مرسومة على كوب وفيها ست نعمات يركب

متونها فتيان ويسير امامهم رجل مستور الوجه ووراءهم موسيقار بمشي الهويناء صارياً بمزامره
ومما يقصونه من الاخبار عن فيرموس ما ركوس الجبار المصري انه كان يركب
نعماً ضخمة ويستوي على ظهورها فتساب به انسياً سريعاً حتى كنت تحاله يطير
وكان أكله لا يُطعم كل يوم نعاماً . وذُكر ان هليوكابال الامبراطور الروماني وضع على
مائدته سمانه مخ نعاماً . وكان موسى على العكس يكره لحم النعام وحظر على بني اسرائيل استعماله .
واستعمل النعام في نينوى صوراً لطيفة في الثياب المطرزة والمشاعل الاشورية . وفي بعض
التقود الرومية صور مقبولة تمثل نعاماً تسير الى الشمال والكلب بهم بها . وفي صور قدماء
المصريين أشياء كثيرة تدل على استخدامهم النعام في كثير من المهام

ورد في كتب التاريخ أقاصيص عن حسن تخلص النعام في الحروب . مما يرجع
الفضل فيه لشكلها لانها تشبه الطائر وتشبه ذوات الاربع ولها من كل فصيلة من هذه
الفصائل أحسن ما فيها . وكان لريشها أثر وأي أثر في أساطير وادي النيل لم يصل اليه
العلماء ولذلك نرى من جملة الجزى التي كان الفرعون يضر بونها على سكان الحبشة
جزية وافرة من الريش وبيض النعام زيادة على ما كانوا يفرضونه عليهم من خرائط التبر
يقول هورابولون ان المصريون كانوا يمثلون للرجل العادل بريش النعام بدعوى
ان هذا الطائر هو الوحيد من بين الطيور في تساوي ريشه . ولذلك أمثلة كثيرة في
تاريخهم القديم . ونرى في الخط المبر وغلبي ان ريش النعام اشارة الى صوتين مختلفين
(ما وسو) فيستخدم الاول لكتابة الحقيقة . ويفهم من مغزى الفلسفة المصرية ان معنى
(ما) العدل فمن ثم كانت ريشة النعام رمزاً الى ربة الحقيقة والعدل

نرى هذه الريشة التي تمثل الحقيقة والعدل ماثلة أحياناً وقد جعلت رأساً لجسد
امراة وكثيراً ما تظهر في صورة رشيقة متجالية برداء ضيق وقد جعلت في ذراعها
وكاحلها أساور وفي احدى يديها اشارة الحياة وفي الثانية صولجاناً تريد بذلك
الحقيقة والعدل . وكثيراً ما كنت ترى أمثال هذه الصور ماثلة بعضها امام بعض وقد

تزينت بجلاها وبرزت بجبالها وجلالها

مُثلت (ما) ايضاً وعلى رأسها ريشة النعام وهي جاثمة وعبونها معصبة . وعلى هذا النحو كان الملوك يقدمون للارباب في مدافن الفراعنة صوراً من امثال هذه دليلاً على الطاعة وأداء الواجب . وكانت رئيس المحكمة المصرية يحمل صورة صغيرة تشبه هذه الصورة مصنوعة من الاحجار الكريمة مناطة بسلسلة من ذهب واذا تقلدها الرئيس يكون ذلك رمزاً الى ان المرافعات ابتدأت . وكان المصريون يعتقدون ان (ما) هي صاحبة أوزيريس في الحياة الاخرى وانها تقف في مدخل الجنة لتلقى أرواح الابرار الاطهار وتبعث فيهم روح الطمأنينة وحسن الثقة بالارباب

وكذلك الحال في (سو) فانه كان رمزاً على رب الارباب ورمزاً على النور المنبعث من الشمس . و (سو) يمثل النسيم الليل الذي ينازع زعازع القفر وقواصف البادية . ولذلك ترى في قباب المعابد القديمة عقباناً تجرأت ريش النعام لتدفع به التأثيرات السيئة

ونرى كثيراً من ريش النعام معلقاً في رؤوس الارباب . والريشان المزدوجتان خاصتان بعمون را وأوزيريس ونوفري توم رب الافراح . وكان ملوك الفراعنة يرفضون ريش النعام للقيام ببعض الفروع الدينية ويزدان اوزيريس في محكمته بريش النعام ايضاً

ولريش النعام مقام ماثور في العادات المصرية الدينية عند القدماء فقد كان يحمل منه مذاب ومراوح وكانت علامة مميزة للامراء من اهل بيت الملك ومن أعظم الحكام فيستعمل مراوح وسجناً يحيط بمظلة الملك وزينة تناط برأس خيوله وتنفخ عليه كإيائها تناط بعصابة الرأس وتندمج مع الشعر المستعار أزرقاً كان أو أسود . وكان المصريون يحملونه عنواناً على زعمائهم وهو لهم زينة نادرة الظرف واللفظ . ولذلك ترى ريش النعام ماثلاً في المعابد والمدافن وتشاهده في مدينة عموكا تشاهده في مدينة ثيبة

كان كبار القوم يعلقون ريشتين على شعورهم إشارة الى الزينة والابهة من اجل
هذا نرى الريش حيثما انجبت في ارض الفراغة يُتخذ زينة فهو يرفرف على الرؤوس
ويتقلل في أيدي أمراء الملك وآل بيت الفراغة كما تراء على سدة بيوت الارباب
والكهنة والضاربين بالزمار والطنور يستجيدون ألفتها ويتزينون به كما كانت ترفع
على اطار الثور الابيض الذهبي وغيره في الحفلات الدينية فيجيء النسيم بحركها
نم كنت ترى الريش في كل مكان وبعضه ملون أخضر كالزمرّد وبعضه ابيض
ناعم وبعضه أسود فاحم وآخر أحمر قاني . ومثل ذلك قل في يعض النعام ايضاً فمنها
ما كان يُلَوّن بالزرق أو يبق على طبيعته وكان يُعدّ في المقابر من نوابغ الزينة ومنه ما يجعل
أكليل أو سبجاً طويلة وكثيراً ما كنت تراها تضم الى العمد اللطيفة كأنها تاج
للظلال على نحو ما ترى لهدنا في المدارس القبطية يستخدم مثل هذه الغاية من
الزينة والطاقة في كل ناحية بريم حرير غليظ تعلق به مصايح قرمزية أو غيرها من
الاضواء توقد ليل نهار امام المذبح

الشعر العربي

جزعت السهول وجبت الوعوثا	وسرت الى المجد سيرا حثيثا
عجلت وعندي لادراكه	صرية نفس أبت أن تريثا
متى أنا أطلقت من غربه	يعدّ ذكرّ المرهفات أيتها
دعاني الهوى والهوى ضلة	فكنت لدعوته مستريثا
واعرضت عن لفتات الدمي	وعفت خلاخيلها والرعوثا
اليكنّ عني ذوات اللمي	لقد عاد حيي بكنّ ريثا
كنت عن الناس اخباركن	ثم نثت الكيم نثيا